برنامج [إطلالةٌ على هالةِ القمر] - الحلقة (1)
على شواطئ معرفة العباس – الجزء (1)

الخميس: 15 صفر 1440هـ الموافق: 2018/10/25

● **تعريفٌ مُوجزٌ بهذا البرنامج:**

◈ **أولاً:** يُمكنني أن أقول: هذا البرنامج يُعدّ جُزءاً ثانياً في الثقافةِ الحُسينيّةِ الزهرائيّة المُتحضّرةِ الواعية.. كان الجزء الأوّل في برنامج: [يا حسين.. البوصلة الفائقة]

وهذا البرنامج: [إطلالةٌ على هالة القمر] هو جزءٌ آخر، جزءٌ مُكمّل في مسيرةِ الثقافةِ الحُسينيّة الزهرائيّة المُتحضّرة الواعية.

◈ **ثانياً:** أتمنّى على الذين يُتابعون هذا البرنامج أن لا يُفوّتوا حلقةً واحدةً مِن حلقاته.. فإنّني أضمنُ لكم إذا ما تابعتم هذا البرنامج من أوّلِهِ إلى آخرِهِ أن أفتحَ بين أيديكم نافذةً مِن الوعي العقائدي المُركّز.. حتّى الذي لأوّلِ مرّةٍ يُتابعُ حديثي فإنّني أضمنُ لهُ لو أنّهُ تابعَ معي هذا البرنامج مِن أوّلِهِ إلى آخرِهِ فإنّني سأُحدثُ تغييراً في طريقةِ تفكيره - على الأقل-.

● **البرنامج يشتمل على مجموعتين من الحلقات:**

✦ **المجموعة الأولى:** في أجواءِ قمر الهاشميين (صلواتُ الله وسلامهُ عليه)

✦ **المجموعة الثانية:** مجموعةُ أسئلةٍ مِن أسئلتكم ترتبطُ بأجواءِ الكتاب والعترة.. سأُجيب عليها.

◈ **ثالثاً:** المجموعةُ الأولى مِن حلقاتِ هذا البرنامج والتي هي في أجواءِ قمر الهاشميّين تشتملُ على عدّة عناوين:

✻ **العنوان (1):** "**على شاطىء معرفة العبّاس**".. وسأبدأ الحديثُ في ظِلال هذا العنوان مِن هذه الحلقة.

✻ **العنوان (2):** **في أروقةِ زيارة العبّاس** (وقفةٌ بين يدي نصّ زيارة أبي الفضل) والحديثُ هُنا في هذا العُنوان سيكونُ مُهمّاً جدّاً.
علماً أنَّ العُنوان الأوّل بمثابةِ مُقدّمة وتمهيد، ولِذا سيكونُ الحديثُ فيهِ مُجملاً.. أمَّا التفاصيل فسألجُ فيها في العُنوان الثاني والذي يليه.

✻ **العنوان (3):** **آياتٌ مِن القُرآن تتلألأ بنور العبّاس**.. وهو عُنوانٌ مُهمٌّ جدّاً يُمكنني أن أصوغَهُ صياغةً تقليديّةً وأقول: **العبّاس في القرآن**.

✻ **العنوان (4):** زبدةُ المخضِ مِن كُلّ ما تقدّم في العناوين التي أشرتُ إليها.. وهُو: **معرفةُ العبّاس ضرورةٌ عقائديّةٌ لازمةٌ لا مفرَّ منها** للذين يبحثون عن معرفةِ مُحمّدٍ وآل مُحمّد معرفةً أصيلة بعيدةً عن ثقافة العُيون الناصبيّة القذرة وبعيدةً عن المناهج البتراء التي ألقتْ بكلاكلها في ساحةِ الثقافة الشيعيّة.

هذهِ هي العناوين التي سأتحدّث عنها في مجموعة الحلقاتِ الأولى مِن هذا البرنامج.

● العنوان الأوّل الذي سأتناولهُ في هذهِ الحلقة وفي الحلقة القادمة أيضاً: [**على شاطىء معرفةِ العباس**]
هذا العُنوانُ يشتملُ على تمهيدين:
التمهيد الأوّل سأتناولُهُ في هذهِ الحلقة.. والتمهيد الثاني سأتركهُ للحلقة القادمة.
في هذهِ الحلقة سأحدّثكم حديثاً إجماليّاً يكونُ مُقدّمةً للولوجِ في أروقةِ زيارةِ العبّاس "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه".

● **العنوان الأوّل مِن مجموعة عناوين هذا البرنامج:** على شاطىء معرفة العبّاس.
في هذا التمهيد سأتناول فصولاً مِن الحديث:

✪ **الفصل الأوّل:** بنحوٍ إجماليٍّ سأضعُ بين أيديكم مِيزاناً للتعامل مع ما وردَ في كُتُب الحديث وفي كُتب السِيَر والمغازي والمقاتل وفيما يرتبطُ بعاشوراء ورجالها وشُؤونها المُختلفة.
هُناك ركامٌ هائلٌ مِن المنقولات ما بين (كُتُب التأريخ، المغازي والحروب، السِيَر، الأخبار.. وكذلك ما جاء في الجوامع الحديثيّة..)
لستُ بصدد التفصيل، إنّما هي خلاصةٌ أضعُها بين أيديكم مُستقاةٌ مِن تجربةٍ في البحثِ والتحقيقِ طويلةٍ جدّاً.. تحت هذا العنوان:
ميزان قبول ورفض أخبار عاشوراء وشُؤونها.
• **أولاً:** ما يردُ مِن النقولات أو مِن الأخبار مُشتملاً على أيِّ انتقاصٍ مِن مقام سيّد الشُهداء وأهل بيته وأنصاره الأوفياء - قطعاً كلٌّ بحسبه - ما جاء في هذهِ النقولات بهذا الوصف مرفوضٌ قطعاً - على الأقل من وجهة نظري -.
• **ثانياً:** ما يُخالفُ حُكْم العَقل السليم (المُشبع بثقافة الكتاب والعترة) مرفوضٌ قطعاً.. فسيّدُ الشهداء كان يُطالبُ فَتَلَتَهُ أن يكونوا أحراراً في دُنياهم.. والحريّةُ في أساسها هي حُريّة العقل قبل أن تكونَ حُريّةً للشهواتِ أو للرغبات والمطامع والمطامح.
إنّها حريّة العقل والفكر، إنّها حُريّةُ الضمير والأخلاق.. هذهِ هي الحريّةُ التي كان سيّدُ الشُهداء يُطالبُ أعداءَهُ أن يتحلّوا بها.. وهذهِ الحُريّةُ أساسُها العقل السليم، أساسها المنطق القويم، أساسها الذوقُ الرفيع. مِن هُنا تبدأُ وتتعالى إذا ما أراد أصحابُها أن يتسامُوا.
فكُلُّ ما يُخالفُ العقلَ السليم في ضوء هذا البيان الذي طرحتُهُ بنحوٍ مُوجز ومُختصر هُو مرفوضٌ قطعاً.. لأنَّ ذلك يُلحِقُ وَسَخاً بالمَشروع الحُسينيّ العملاق.

• **ثالثاً:** أسلوبُ سيّد الشُهداء في يوم عاشوراء هو حَشْدُ العواطف وتركيزُ المظلوميّة بنحوٍ مؤكّد ولكن ضِمْن إطار الإباء والكرامة.. فكُلُّ ما فيهِ ضَعْفٌ ومَهانةٌ مَرفوضٌ قَطْعاً..

إنّنا نتحدّثُ عن قِمَمِ الرفض، نتحدّث عن جبالٍ شاهقةٍ مِن الإباءِ والعزّةِ والشُموخ.. إنّهُ حديثٌ عن حُسينٍ وعن آلِهِ الأطهار وصحبهِ الأبرار.

صحيح أنَّ أسلوب سيّد الشهداء كان في حَشْد العواطف وترسيخها، وتركيز المظلوميّة وتأكيدها ولكن ضِمْن هذا الإطار.. إطار الإباءِ والكرامةِ وعزّة الحق.

فما جاءَ مِن النقولاتِ ورائحةُ الضَعْفِ والمَهانةِ والمذلّة تفوحُ منها فإنّني أرفضُهُ رفضاً قاطعاً مِن دُون أدنى شكٍّ أو ارتياب.

• **رابعاً:** كُلُّ ما يُعارضُ قاعدةَ المعلوماتِ الحُسينيّة مُعارضةً تامّة مرفوضٌ قطعاً.. ومُرادي مِن قاعدة المعلوماتِ الحُسينيّة: الثقافةُ المُتشكّلةُ من زياراتهم وأدعيتهم ورواياتهم في الشأن الحُسيني بشكلٍ خاص وبالدرجةِ الأولى، أو ما جاء في كلّ أبواب الكتاب والعترة بالدرجة الثانية.

• **خامساً:** ما قامتْ الأدلّةُ الواضحةُ على عدمِ صِحّتهِ إنْ كانَ ذلكَ مِن وجهةِ نظرٍ تأريخيّة أو غير ذلك.. فهو مرفوضٌ أيضاً ولكن بشرط أن تكونَ الأدلّةُ حقيقيّةً لا تلفيقيّة ولا حَدَسيّة.. يعني لا أن تُلفَّق الأدلّة مِن خلال جمْعِ مُعطياتٍ مُتباينةٍ مُختلفة.. علماً أنَّ مُرادي مِن التلفيق: هو الجمع (يعني: قص ولصق بحيث تُؤخَذُ مُعطياتٌ ناقصةٌ مِن هُنا وتُلصَّق بِمُعطياتٍ ناقصةٍ مِن هُناك) هذا هو مُرادي مِن "التلفيق".. وليس المُراد هو التزوير كما قد يتصوّر البعض. كُلُّ هذا الذي تقدّم إنّما يجري في النُقُولاتِ التي وردتْ في كُتُب التأريخ، في كُتُب السِيَرِ والمغازي والمقاتل.. وما نُقِلَ مِن هذهِ الكُتُب أيضاً في الجوامع الحديثيّة الكُبرى.. وإلّا فأحاديثُ العترةِ الطاهرة واضحةٌ مصادرها معروفة وكذلك الأمر مع نصوص زياراتهم الشريفة.

هذا الميزان ميزانٌ لقبولِ ورفضِ ما جاء مِن النقولات في مُختلف الكُتُب. لا أريدُ أن أتشعّب كثيراً.. إنّما ذكرتُ هذا في الفصل الأوّل مِن حديثي مِن التمهيد الأوّل في الحلقةِ الأولى لأنّني في حديثي عن أبي الفضل العبّاس سأطوي كَشْحاً عن كثيرٍ مِن النقولِ التي وردتْ في كُتُب المقاتلِ والسِيَرِ ممّا يُسيءُ إلى شأنهِ ومَقامهِ "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه". إنّني سأسلّطُ الضوء على نُصوص الكتاب والعترة.. إنّني سأقفُ بين يدي فناء أبي الفضل مثلما قُلتُ في مُقدّمةِ هذهِ الحلقة: أمدُّ يدي طالباً منهُ أن يمنحني ومضةً مِن شعاعِ قُدسهِ لأُصيبَ القَول وأنا أتحدّث عن بعض شأنه.

❁ الفصل الثاني: العبّاس ومُصطلحُ الإمامة.

سُؤالٌ يطرحهُ كثيرون: هل يصحُّ أن نقول: "الإمامُ العبّاس"..؟

وأقول: ما المُراد مِن هذا العُنوان: الإمام..؟

في أجواء الثقافةِ الشيعيّة هُناك استعمالٌ لِهذا العُنوان وهذا المُصطلح "الإمام" في وصف مراجع الشيعةِ وعُلمائها.. كما في زماننا الآن، فيقولون: (الإمام الخُميني، الإمام الخُوئي، الإمام الحكيم، الإمام الشيرازي، الإمام السيستاني...) وهكذا.. هذا الاستعمالُ موجودٌ في أوساطنا الشيعيّة، فإنّنا نصفُ مراجع الشيعةِ بهذا الوصف.. لأنَّ البعض يقول: مِثلما نصِفُ المرجع بالإمام فإننا نصِفُ العبّاس بالإمام..!

وأقول: هذهِ إساءةٌ كبيرة للعبّاس أن يُقالَ هذا الكلام بحقّهِ وشأنهِ.

هذا الوصف لِمراجعنا "بالإمام" جاءَنا مِن النواصب.. فالنواصب مِن أعداء عليٍّ كانوا ولا زالوا يصفون عُلماءَهم بالأئمة.. فحتّى هذا الكسائي المعروفُ بإدمانهِ لشُرْب الخُمور ولإتيان الغُلمان يصفونَهُ أنّهُ إمامٌ في قراءاتِ القُرآن، وإمامٌ في العربيّة واللّغاتِ وأمثال ذلك.

فالنواصب مِن أعداء العترة الطاهرة يَصفون عُلماءهم وفُقهاءهم بهذا الوصف أنّهم أئمة.. وهذا الأمر تسرّب إلينا.. لا أقطعُ يقيناً، ولكن على حدّ علمي حينما أُقلّب ذاكرتي فإنّني أعتقد أنّ أوّل مَن خُوطِبَ ولُقّب بشكلٍ واضح في الجوّ الشيعي وبشكلٍ مُنتشر هُو العلامّة الحلّي.. هو أوّلُ مراجعِ الشيعة الذين خُوطِبوا ووصِفوا بهذا الوصف بشكلٍ واسع.. هناك مَن وُصِفَ بهذا الوصف قبل العلّامة الحلّي ولكن ليس بشكلٍ واسع.

وبقي هذا الوصْفُ يظهرُ ويغيب إلى أن انتشرَ في أيّامنا هذهِ..! فهذا الوصف جاءنا أساساً مِن النواصب.

• هذهِ الأوصاف (الإمام، آيةُ الله العُظمى..) أوصافٌ خاصّةٌ بالإمام المعصوم، وإطلاقُها على غير المعصوم هو سِمةُ أعداءِ العترة الطاهرة.. فهُم الذين يستلبون الألقاب والأوصاف.. هذهِ الأوصاف خاصّةٌ بآل مُحمّد فقط وفقط.. وحتّى هذا الوصف "حُجّة الإسلام" أوّل مَن تلقّب بهِ هُو أبو حامد الغزّالي الشافعي.. ثُمَّ انتقل إلينا..!

أعودُ إلى وصْف "الإمام" الذي يُطلق على مَراجعنا وعُلمائنا وأقول:

هذا الوصف وصفٌ لا معنى لهُ في سُوق الحقيقة ولا قيمةَ له.. الإمامُ وصْفٌ ومُصطلحٌ وعُنوانٌ لا ينطبقُ منه ولا واحد بالترليون على أيّ مرجعٍ مِن مراجع الشيعة مِن أوّلهم إلى آخرهم.

نَحنُ قد نستعملهُ على سبيل المُسامحة، على سبيل أنَّ هذهِ الأوصاف صارتْ جُزءاً مِن الثقافةِ الاجتماعيّة.. وأنا لستُ بصددِ مُناقشةِ هذا الموضوع، لكنّني أُريد أن أُشخّص معنى الإمام في ساحةِ الثقافة الشيعيّة.

فأقول: الإمام بهذا المُستوى لا قيمةَ لهُ.. الإمامُ بهذا المُستوى إذا أردنا أن ننسبَهُ إلى العبّاس فإنَّ ذلك لا يجوز.. لأنَّ هذا انتقاصٌ مِن مقامهِ وشأنهِ "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه".. هذا وصفٌ لا حقيقةَ لَهُ، وإنّما هُو جُزافٌ مِن القول مَردّهُ إلى التأثّر بالفِكْر الناصبي مِن جهةٍ.. ومِن جهةٍ ثانية هُناك خَلَلٌ في موقفِ مَراجعنا وعُلمائنا مِن العترة الطاهرة.. وهذا واضحٌ في كُتُبهم. فحينما يكونُ هُناك خَلَلٌ سيترتّبُ عليهِ خَلَلٌ قوليٌّ وعَمَلي.

يُضاف إلى ذلك حالةُ الصنميّة الشائعةِ في الوسط الشيعي، ويُضافُ إلى ذلكَ حالةُ التنافسِ على الزعاماتِ والمرجعيّاتِ الدينيّة والصراع واضحٌ على الألقاب والأوصاف والمقامات التي هي في حُدود الألفاظ لا حقيقةَ لها على أرض الواقع.

فوصف العبّاس بالإمامِ بهذا المُستوى إساءةٌ لأبي الفضل "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه" ولا قيمةَ لِهذا الوصف عند آل مُحمّد.

• هُناك معنىً آخر وهُو: الإمام بحَسَب تعريفِ مراجعنا للإمام في كُتُب علم الكلام التي ألّفها مراجعُ الشيعة لبيان أُصول الدين.. والذي يقصدون به: النبيّ وأمير المؤمنين وسائر الأئمة.. فهذا ليس بتعريفٍ للإمام بحَسَب ذَوق الكتاب والعِترة، ولو وصفنا العبّاس بهذا الوصف فتلكَ منقصةٌ كبيرة، لأنَّ العبّاس أجلُّ مِن كُلّ أوصاف مراجعنا هذه التي جعلوها أوصافاً ونعوتاً للمعصومين الأربعة عشر).
(وقفة توضيحيّة عند النقطة فيها عرض لأمثلة سريعة مِن انتقاص عُلماءنا ومَراجعنا لِمُحمّدٍ وآل مُحمّدٍ في كُتبهم).
الإمامةُ بهذا الوصف إذا نسبناها إلى العبّاس هي إساءةٌ أيضاً.. فهذهِ ليستْ إمامةُ آل مُحمّد.. هذهِ إمامةُ السقيفةِ زُيّنتْ ببعض شيءٍ يجعلُ الإمامَ مُميّزاً في بعض الجهاتِ عن أئمة السقيفة. السقيفةُ نصّبتْ الأئمة ونصبّتْ الخُلفاء بذهنيّة شُيوخ القبائل فجاء مراجعُ الشيعةِ لكي يجعلوا مِن الإمام مُميزاً بعْضَ الشيء عن شُيوخ القبائل.. فجاءتْ هذهِ التعاريف وهذه التخاريف في كُتُب علم الكلام مِن أنّ الإمامة: رئاسةٌ على الدين والدينا.

وأقول:

إمامةٌ بهذا الوصف ليستْ إمامةُ آل مُحمّد.. والعبّاس أعلى شأناً مِن كُلّ هذهِ الأوصاف ومِن كُلّ هذهِ الإساءات التي نَسَبها مراجعنا للمعصومين في كُتُبهم.. (فالعباسُ لا يخرجُ عن حدود الأدب، والعبّاسُ ليس فاشلاً، والعبّاسُ لا ينسى ما جرى عليه في سالف الأزمان مثلما يصف الشيخ الطوسي أئمّتنا...)
فالإمام بهذا الوصف لو وصفنا العبّاس به فهي إساءةٌ كبيرةٌ جدّاً بحقّ أبي الفضل..
إذا كان المراجع يصفون الأئمة بهذه الأوصاف فتلك مسؤوليّتهم.. هم سيُحاسبون عن كُلّ لفظةٍ قالوها وعن كُلّ كلمةٍ كتبوها.

● أمَّا الإمام كما يُريده آل مُحمّد.. فهذا الوصف وصفٌ خاصٌّ بالمعصومين الأربعة عشر ولا يُطلق على أبي الفضل.. ولا يَقبلُ أبو الفَضْل أن يُطلقَ عليهِ الوصف.. هذا الوصف خاصٌّ بمُحمّدٍ وعليٍّ وفاطمة والحسن والحُسين وبوُلد الحُسين إلى إمامنا القائم "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين".

● **تعريفُ الإمامةِ عند آل مُحمّد:** جاءنا مُفصّلاً في نصٍّ كريمٍ وشريفٍ وعزيز هُو الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة.. الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة تعريفٌ للإمام.. إذا ما عرضنا ما يستعملهُ الشيعةُ مِن إطلاق لفظ الإمام على مراجعهم على الزيارة الجامعة الكبيرة فإنَّ عورةً لا أستطيعُ أن أصفَها ستتجلّى حينئذٍ.. عورةٌ لا مَثيلَ لها.. أيُّةُ إمامةٍ هذه..؟!
وحتّى المعنى الثاني للإمام الذي يتحدّث عنهُ مراجعنا في كُتُبهم العقائديّة والكلاميّة إذا ما عرضنا هذا الوصف على الزيارة الجامعة الكبيرة فهو الآخر عورةٌ وعورةٌ قبيحةٌ جدّاً.. ويجلُّ مقام أبي الفضل العبّاس عن كُلّ نقصٍ وعن كُلّ عورةٍ وعن كُلّ عيب.
الزيارةُ الجامعةُ الكبيرةُ شأنٌ مِن شُؤونها الإمامةُ التي يتحدّثون عنها.

● مِن جُملة ما جاءَ في الزيارة الجامعة الكبيرة.. نقول لهم "صلواتُ اللهِ وسلامه عليهم": (**وأشهدُ أنّكم الأئمّةُ الراشدون المعصومون**...) هذهِ شُؤونٌ مِن شُؤون إمامتهم الكُبرى.. وما يذكرهُ مَراجعنا في كُتُبهم إذا ما ذكروهُ بشكلٍ مُناسب.. لا يُشكّل إلّا حاشيةً على جانبٍ يسيرٍ مِن المعاني والمضامين التي وردتْ في هذا النصّ الشريف. فأينَ الإمامةُ عند آل مُحمّد وأينَ الإمامةُ عند مراجع الشيعة..؟!
وهذا الذي أقولُهُ دائماً: هُناك تشيّعان: تشيّعٌ للكتاب والعترة، وهُناك تشيّعٌ لِمراجع الشيعةِ وفُقَهائهم.
الزيارةُ الجامعة الكبيرةُ تعريفٌ مُفصّلٌ لإمامةِ الأئمةِ المعصومين الأربعةَ عشر.. أمَّا التعريفُ المُجمَل لإمامتهم فهو ما جاءَ في دُعاءِ شهر رجب المروي عن الناحية المُقدّسة. حين يبدأ الدُعاء بهذه العبارات:
(**اللّهمّ إنّي أسألكَ بمعاني جميع ما يدعوكَ به وُلاة أمرك المأمونون على سِرّك..**) هؤلاء هم أئمّتنا (مُحمّدٌ، عليٌّ، فاطمة، حَسَنٌ، حُسين.. ومن السجّاد إلى قائمهم).. هذا هو تعريفُ الإمامةِ المُجمَل في دُعاء شهر رجب: (**لا فرقَ بينكَ وبينها إلّا أنّهم عبادكَ وخلقك**).
الإمامُ هو الموجود، هُو الكائنُ، هُو الحقيقةُ التي لا فَرق بينها وبين الله إلّا أنّهُ مخلوقٌ وعبدٌ يتّصِفُ بِصفاتِ المخلوقيّة وبِصفاتِ العُبوديّة.. ولا تتجلّى العُبُوديّة إلّا فيهِ بمعناها الحقيقي الكامل الذي يرتضيهِ سُبحانهُ وتعالى.. هذهِ هي الإمامة.
والإمامُ بهذا المعنى لا يُطلَقُ إلّا على الأئمة المعصومين الأربعة عشر فقط، ولا يُطلَقُ على أبي الفضل.. وأبو الفضل "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه" لن يقبلَ بأنّ يُطلَقَ عليه.. وأبو الفضل العبّاس هُو أقربُ الكائناتِ إليهم وأحبُّ الكائناتِ إليهم.
هُناكَ مجموعةٌ هي الأقرب إلى هؤلاء الأئمة بهذهِ الأوصاف.. وأبو الفضل بين تلكَ المجموعة هو القمر المُشرق.
أعمامُهُ أهلُ أبيه هُم الذين وصفوهُ بقمر بني هاشم، وأخوالُهُ هُم الذين وصفوهُ بقمر العشيرة.. فهذا الوصف "قمرُ العشيرة" هو وصفُ عشيرةِ أخوالهِ له.. فبين أخوالهِ هو قَمَرُ العشيرة، وبين أعمامهِ هو قَمَر بني هاشم.. إنّهُ قمر الأقمار.

✪ **الفصل الثالث وهُو الفصل الأخير الذي أتحدّث في أجوائهِ في هذه الحلقة: وهو العبّاس ومُصطلح العِصمة.**

يتردّد هذا السُؤال: العبّاس معصومٌ أو ليس بمعصوم..؟!
أنا هُنا لا أُريدُ أن أدخلَ في متاهاتِ الجهل التي تتجلّى في كُتُب مراجعنا وخُصوصاً في الكُتُب العقائديّة والكلاميّة.. ولا أُريد أن أبحث: أنَّ المعصوم هل يسهو أم لا يسهو، أنّ المعصوم يترك الأولى أو لا يترك الأولى، أنَّ العصمةَ ذاتيّةٌ أم عَرَضيّة، أنَّ العصمة جاءتْ بعطاءٍ مِن الله أم بسببِ سعيهِ وعملهِ.. هُناك عصمةٌ صُغرى وعصمةٌ كُبرى.. إلى بقيّة التفاصيل.
لا أُريد أن أخوضَ في هذا الهُراء الحَوزوي لا شأن لي به.. أطوي كَشْحاً عنه، وأُيمّمُ وجهي إلى دُستور آل مُحمّد (الزيارة الجامعة الكبيرة).
وقبل أن أتوجّهَ إلى الزيارة الجامعة الكبيرة أقول جواباً على هذا السؤال: هل العبّاس يترُكُ الأولى..؟ فأقول: العبّاس أجلّ مِن أن يُقاسَ بمثل هذهِ المقاييس السخيفة.

العبّاس معصومٌ وعِصمتُهُ تتجاوز كُلّ هذهِ المعاني التي يتحدّثون عنها (العبّاس لا يسهو، العبّاس لا يترك الأولى...) العبّاس عِصمةٌ كاملة.. ولكن علينا أن نفهم معنى العصمة. هل المُراد من العِصمة أنّ المعصوم لا يتركُ واجباً شرعيّاً ولا يتركُ مُحرّماً..؟! هذا منطقٌ هزيل.

• في الزيارة الجامعة الكبيرة نقرأ هذه العبارة: (**ومَن اعتصمَ بكم فقد اعتصمَ بالله**) عِصمتهم "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم" هي عصمةُ الله وانتهينا، وسائرُ المعصومين رُتَب عِصمتهم بِحَسَب قُربهم منهم "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم".. والعبّاس قطعاً أقربُ مِن الأنبياء إلى مُحمّدٍ وآلِ مُحمّد.. فعِصمتهُ أعلى مِن عِصمة الأنبياء. النُبوّةُ في غير مُحمّدٍ وآل مُحمّد هي وظيفة.. فنحنُ في عقيدتنا أنَّ عيسى نبيٌّ ولكنّهُ سيكونُ مِن جُنودِ إمامِ زماننا "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه".. فأين ذهبتْ نبوّته..؟!

• ولو تدبّرنا في الآياتِ القُرآنيّة التي تحدّثتْ عن الصدّيقة مريم وعن زكريا النبيّ وعن يحيى النبيّ، سنجد أنَّ الصدّيقة مريم ما كانتْ نبيّةً ولكنّها أعلى رُتبةً مِن زكريا ومِن يحيى.

• ولو تدبّرنا في سُورة الكهف وفي قصّة موسى والخِضر فإنّ الخضر لم يكن نبيّا ومُوسى كان نبيّاً مِن أولي العزم وكان بِصحبته وصيّه يوشع بن نون، ولكن الخِضْر كان سيّد الموقف.

النبوّةُ وظيفةٌ.. بل إنَّ الرسالة التي هي أعلى من النبوّة هي الأخرى وظيفة كما نقرأ في الآية 67 من سورة المائدة: {**يا أيُّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليكَ مِن ربّك وإنْ لم تفعلْ فما بلّغتَ رسالته..**} .. لو كانت الرسالةُ منزلةً فإنَّ منازل مُحمّدٍ "صلّى الله عليه وآله" ذاتيّةٌ.

الرسالةُ لِمُحمّدٍ منزلةٌ بعنوان ولايتها الكُليّة.. هُناك تداخلٌ في المُصطلحات ما بين (الإمامة، والنبوّة، والرسالة والولاية) ولكن الولاية هي الأعلى.. قد تُستعمَلُ الولايةُ بمعنى الإمامة، وقد تُستعمل الإمامةُ بمعنى الولاية.. ولكن إذا أردنا أن نُمحّص الأُمور وأن نتجاوزَ الحيثيّات واختلاف اللّحاظات فإنّ الولاية هي الأعلى.

كما في سُورة الكهف: {**هُنالك الولايةُ للهِ الحقّ هو خيرٌ ثواباً وخيرٌ عُقُبا**} نهاية المطافِ هُنا.. وبِحَسَب أحاديث العترة الطاهرة في الجزء الأوّل مِن الكافي الشريف فإنّ هذه الآية من سورة الكهف هي في ولاية عليٍّ قطعاً.

• الرسالةُ في بعض جهاتها إذا ما نظرنا إليها مِن لحاظٍ مُعيّن هي وظيفة.. والخِطابُ واضحٌ في هذهِ الآية: {**يا أيُّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليكَ مِن ربّك وإنْ لم تفعلْ فما بلّغتَ رسالته..**}

لو كانتْ الرسالة منزلةً فهل أنّ الآية تُخاطبُ النبيّ "صلّى الله عليه وآله" بهذا الخِطاب: (**وإنْ لم تفعلْ فما بلّغتَ رسالته**)؟!

الرسالة منزلةٌ بمعنى الولاية الكُليّة.. ولِذا قبل قليل حينما قرأنا في دُعاء شهر رجب: (**اللّهمّ إنّي أسألكَ بمعاني جميع ما يدعوكَ به وُلاة أمرك..**) مَرَدُّ الأمر إلى الولاية: (**لا فرقَ بينكَ وبينها إلّا أنّهم عبادكَ وخلقك**). حتّى في بيعة الغدير فإنَّ البيعةَ كانتْ على عنوان الولاية (مَن أولى بكم مِن أنفسكم؟ ألا مَن كُنتُ مولاه فهذا عليٌ مولاه اللّهمّ والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه..) البيعةُ كانتْ على الولاية.

قد يقول قائلٌ: أنّ الولاية هُنا بمعنى الإمامة.

وأقول: الإمامة شأنٌ مِن شؤون الولاية.. علماً أنّ المُصطلحات مُتداخلة وأنا لستُ بصددِ الحديث عن تفكيكِ هذهِ المُصطلحات.. لأنَّ الإمامةَ في نُصوصٍ تكونُ الولايةُ مِن شُؤونها، ولأنَّ الولايةَ في نُصوصٍ تكونُ الإمامةُ مِن شُؤونها.. ولكنّنا إذا أردنا أن نُمحّص النصوص فإنَّ النتيجةَ النهائيّة أولاً: أنَّ هذهِ المُصطلحات مُصطلحاتٌ سيّالة مُتحرّكة.. لأنّنا لا نتحدّث عن قوانين الدُنيا.. الإمامةُ والولاية هُنا ترتبطُ بعالم الغَيب.. فحينما ترتبطُ العناوين والمُصطلحاتُ بعالم الغَيب ستكونُ سيّالةً، ستكونُ مُتحرّكة بسبب اختلاف الحيثيّات التي يُنظَرُ إليها حين استعمال هذا المُصطلح في جهةٍ مِن جهاتِ المعاني الغَيبيّة ولأنَّ اللّغة ستكونُ ضيّقةً حينئذٍ.. فلُغةُ الدين للدُنيا، ما هي للغيب.. هذه لغة التراب للتراب.

ولِذا الحقيقةُ القرآنيّة لمّا كانت لِعالم التُراب حُبِستْ في هذا التنزيل اللّغوي.. والقُرآن واضحٌ وصريحٌ جدّاً في سُورة الزُخرف حين يقول: {**إنّا جعلناهُ قُرآناً عربيّا لعلّكم تعقلون**}.. فالقُرآن شيء آخر، ولكنّهُ جُعِلَ جعلاً حتّى يتناسبُ مع هذا العالم التُرابي.. أمّا حقيقتُهُ فيُشيرُ إليها قولهِ تعالى: {**وإنّهُ في أُمّ الكتاب لدينا لَعَليٌّ حكيم**} حقيقةُ القُرآن هي هذهِ.

• أعود إلى الحديث عن عِصمتهم "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم" وأقول:

عِصمتهم عِصمةُ الله، وهذا المعنى واضحٌ جدّاً في دعاء البهاء: (**اللّهمّ إنّي أسألُكَ مِن جمالكَ بأجملهِ**) الجمالُ الذاتي ليس فيه مراتب.. وإنّما الحديثُ هُنا عن الجمال في تجلّياتهِ.. أجملُ الجمالِ إمامُ زماننا، أجملُ الجمال المعصومون الأربعة عشر "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم".. هُم أجملُ الجلال، وهُم أجلُّ الجلال، وهُم أعظمُ العَظَمة.. إلى سائر الأوصاف. تلكَ هي عِصمةُ الأسماء الحُسنى.. إنّها عِصمةُ مُحمّدٍ وآل مُحمّدٍ "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم".

كما يقول إمامنا الصادق في [الكافي الشريف: ج1] في قول الله عزّ وجلّ: {**ولله الأسماءُ الحُسنى فادعوهُ بها**} قال الإمام "عليه السلام": (**نحنُ والله الأسماء الحُسنى التي لا يقبلُ اللهُ مِن العباد عَمَلاً إلّا بِمعرفتنا**).. عِصمتهم عِصمة الأسماء الحُسنى.. علماً أنّني أتحدّث عن عِصمتهم التي تُدركها عُقولنا.. وإلّا فإنَّ عِصمتهم هي عِصمة الله (**ومَن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله**). الأنبياء بمقدار ما يقتربون أو يبتعدون مِن هُنا تحدّد درجة عِصمتهم.

• الأحاديث أخبرتنا أنَّ الشاهد على الأنبياء حمزة وجعفر.. هذا يعني أنّهما أقرب، والأحاديثُ حدّثتنا عن أنَّ العبّاس يغبِطُهُ جميعُ الشُهداء وكُلّ الأنبياء شُهداء.. وأنا هُنا لا أتحدّث عن شهادة القتل وإنّما أتحدّث عن شهادة العِلْم.. فكُلُّ الشُهداء يغبطون العبّاس.. والحمزةُ وجعفر من الشُهداء الذين يغبطون العبّاس وهُما الشاهدان على كُلّ الأنبياء.. وهذا المضمون مذكورٌ في الروايات.